المحاضرة الثالثة: مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب الآيات والسور

1_ مراحل جمع القرآن الكريم:

المقصود بجمع القرآن الكريم هو كتابته، لأن جمع القرآن الكريم قد يراد به حفظه في الصدور، وهذا كان واقعا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأصل والمعول عليه، أما كتابته فقد مرت بثلاثة مراحل مختلفة في الشكل والأسباب وهي:

أ_ كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان حريصا على حفظ ما ينزل عليه حرصا شديدا، وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن ينسى شيئا من القرآن حتى تعهد الله سبحان وتعالى له بعدم نسيان شيء منه، وكان صلى الله عليه وسلم إذا ما انتهى الوحي تلا الآيات التي نزلت وأمر كتبة الوحي بكتابتها بين يديه فيكتبونها، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: "ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا"، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع، قال الزرقاني: "وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول: ضعوا كذا في موضع كذا، ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر في ذلك إلا عن أمر الله عز وجل"[1].

وكانوا يكتبون على الرقاع والعسب واللخاف والعظام، وكتاب الوحي كثيرون، عدهم الحافظ العراقي إلى اثنين وأربعين كاتبا ومن أشهرهم الخلفاء الأربعة ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب... والمؤكد المقطوع به أن القرآن كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، كما أن كتابته كانت "تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها، وأن بعض الصحابة كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد وربما كتبه غير مرتب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعا في صحف ولا مصاحف عامة"[2].

كان من الممكن أن يجمع النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم في مصحف واحد في حياته، لكن الأسباب لم تكن ملحة كما كانت في عهد الصحابة، فالقرآن محفوظ في صدره صلى الله عليه وسلم وفي صدور الصحابة، والقراء كثيرون، وكان الزمن غير مناسب لأن هناك احتمال النسخ لما يشاء الله من

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، ص (1/ 247).
[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، ص (1/ 248).

الآيات، واحتمال تغيير ترتيب الآيات والسور بعد نزول قرآن جديد، وكانت إمكانيات الكتابة والنسخ والإخراج على شكل مصاحف غير متوفرة بالقدر المطلوب ...

ب _ **كتابته في عهد أبي بكر رضي الله عنه**: جُمع القرآن الكريم في موضع واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك بعد معركة اليمامة التي قتل فيها عدد كبير من القراء، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال، روى الإمام البخاري والإمام أبو عمرو الداني في كتابه المقنع في رسم مصاحف الأمصار قصة جمع للقرآن الكريم بسنده إلى زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى أبي بكر فقال: إن القتل قد أسرع في قرّاء القرآن وقد خشيت إن يهلك القرآن فأكتبه فقال أبو بكر: فكيف نصنع بشيء لم يأمرنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ولم يعهد إلينا فيه، فقال عمر: افعل فهو والله خير، فلم يزل عمر بأبي بكر حتى أرى الله أبا بكر مثل ما رأى عمر، قال زيد: فدعاني أبو بكر فقال انك رجل شاب قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع القرآن واكتبه فقال زيد لأبي بكر: كيف تصنعون بشيء لم يأمركم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ولم يعهد اليكم فيه عهدا، قال فلم يزل بي أبو بكر حتى أرانى الله مثل الذي رأى أبو بكر وعمر فقال: والله لو كلفوني نقل الجبال لكان أيسر من الذي كلّفوني قال فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الإضلاع ومن العسب قال: ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أجدها عند أحد فوجدتها عند رجل من الأنصار "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" [سورة الأحزاب: 23] فألحقتها في سورتها فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة[3]، حمد السلف فعل أبي بكر ورأوا أنه نال به أجرا عظيما تجسيدا لقوا تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"، فجمع الخير ونشره وخدم الإسلام والمسلمين خذمة عظيمة، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ»[4].

ج_ **نسخ المصاحف أيام عثمان رضي الله عنه:** وقع خلاف بين المسلمين في قراءتهم للقرآن لاختلاف الحروف واللهجات حتى تنازعوا، وفي بعض الروايات كادوا يقتتلون، فقرر عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد درءا (دفعا) للفتنة والمفسدة، فعمل منه خمسة نسخ وأرسل بها إلى مكة والشام والبصرة والكوفة واحتفظ بنسخة منها لأهل المدينة، ومما جاء في تفصيل قصة جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن الكريم ما رواه أبو عمرو الداني عن حذيفة بن اليمان أنه قدم على عثمان رضي الله عنهما فقال له: يا أمير المؤمنين إني قد سمعت الناس اختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى

---

[3] عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دط، (ص/ 13).

[4] أبو بكر بن أبي داود، كتاب المصاحف، تح: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 2002م، (ص/ 48).

حتى إن الرجل ليقوم فيقول هذه قراءة فلان، قال فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلي إلينا بالصحف فننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت إليه بالصحف، قال فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وإلى عبد الله بن عمرو بن العاص وإلى عبد الله بن الزبير وإلى ابن عباس وإلى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد، وقال للنفر القريشيين: إن اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش فإنما نزل بلسان قريش، قال زيد: فجعلنا نختلف في الشيء ثم نجمع أمرنا على رأي واحد، فاختلفوا في "التابوت" فقال زيد: "التابوه"، وقال النفر:"التابوت"، قال: فأبيت أن أرجع إليهم وأبوا أن يرجعوا إليَّ حتى رفعنا ذلك إلى عثمان فقال عثمان: اكتبوه "التابوت" فإنما انزل القرآن على لسان قريش، قال زيد فذكرت آية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجدها عند أحد حتى وجدتها عند رجل من الأنصار وهو خُزيمة بن ثابت: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" [سورة التوبة: 128]، قال ابن شهاب: قال أنس: فردّ عثمان الصحف إلى حفصة وألقى ما سوى ذلك من المصاحف[5]، وفي روايات صحيحة أنه أحرق المصاحف الأخرى حتى لا يعود إليها الناس.

د_ **الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان**: كان جمع أبي بكر للقرآن الكريم خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حفاظه لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في مصحف واحد مرتبا لآيات سوره على ما أوقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان جمع عثمان رضي الله عنه حسما لخلاف نشب بين المسلمين في كيفية قراءة القرآن الكريم، فجمعهم على نسخة موحدة من المصحف هي التي يقرأ بها العالم الإسلامي اليوم.

2_ شبهات حول موضوع جمع القرآن الكريم.

لا ينفك أعداء الإسلام عن الطعن في القرآن الكريم؛ ولا يزال هذا الكتاب العظيم هدفا لهم حتى اليوم، لأنهم يعلمون أنه أصل الإسلام، ومنبع الصراط المستقيم، فالتشكيك فيه إضعاف للدين وصرف للمسلمين عنه، فوقفوا عند موضوع جمعه ورموه بكم هائل من الشبهات، كزعمهم بأنه ضاعت أو نسيت منه بعض الآيات والسور، وأنه زيدت فيه سور أخرى ليست منه كالمعوذتين، وأن الصحابة لم يتفقوا على جمعه، وكان ابن مسعود من أشهر المعارضين لذلك، وأن بعضهم كان محرفا ومزيفا، وغيرها من الافتراءات التي تصدى لها العلماء بالرد والمواجهة بالأدلة العلمية والحجج القطعية والدامغة[6]، واستنتجوا أن تلك الافتراءات كانت مبنية على روايات واهية، بل على محض الخيال والافتراء، وبعضها مبني على روايات صحيحة لكنهم أساءوا نقلها وعرضها وفهمها، قال الإمام أبو شهبة بعد رده

[5] المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مصدر سابق، (ص/ 14).
[6] ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، (ص/ 283).

على بعض تلك الشبهات: "والله سبحانه وقد وعد بحفظ كتابه وقد هيأ له من الأسباب الداعية إلى حفظه وصيانته من التحريف والتبديل ما لم يتهيأ لكتاب غيره في الدنيا، وعلى كثرة ما صوبه أعداء الإسلام إلى القرآن من سهام غير صائبة، وتلفيقات مزورة فقد بقي القرآن كالطود الشامخ الذي لا تزحزحه عن مكانه الرياح والأعاصير مهما اشتدت، وقد تكسرت على صخرته العاتية كل ما راشوا من سهام وبيتوا من كيد، وسيبقى هكذا صلدا قويا حتى يرث الله الأرض وما عليها، وصدق الله حيث يقول: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (9) [الحجر: 9]، وقال: (وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)) [فصلت: 41.42]"[7]

3_ كتابة المصاحف وتطورها:

كتب القرآن الكريم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه من طرف لجنة بإملاء يسمى "الإملاء العثماني" أو "الرسم العثماني" وهو إملاء خاص بعصر الصحابة رضوان الله عليهم، وهو يختلف عن إملائنا بأنه خال من النقط والشكل والزخرفة.

ثم تطورت العناية بالرسم العثماني وأصبح رسم المصحف علما قائما بذاته، وقد ألفت فيه المؤلفات قديما وحديثا، فمن المؤلفين القدامى أبو حاتم السجستاني (ت 248هـ) والذي ألف كتابه "رسم القرآن"، ومن المؤلفين المحدثين الشيخ علي محمد الصباغ صاحب كتاب "سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين"، هذا وقد تطورت كتابة المصحف فتناولت الإعجام (النقط) والشكل، أما هيكل حروف الكلمة فقد بقي على حالته الأولى.

وما زال العلماء إلى يومنا هذا يتدبرون رسم القرآن ويستخرجون منه الحكم والفوائد والإشارات المبهرة، ووجد أن الكثير منها له علاقة بمعنى الآية، مثل رسم كلمة "باسم" "بسم"، و"امرأة" "امرأت"، و"شيء" "شائ"...، وهنا تساءل الناس عن حكم كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني وكتابته بالرسم العام للحروف والكلمات فجاء جواب العلماء على ثلاثة آراء:

الأول: تحريم مخالفة مصحف عثمان في حرفه ووجوب كتابته على الكتابة الأولى.

الثاني: جواز مخالفته.

الثالث: جواز كتابته بالإملاء الشائع في حالات خاصة مثل كتابته للعامة والطلبة الصغار.

و **الرأي الأول** هو رأي الكثرة من العلماء و من القائلين به الأئمة الأربعة، سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتبة الأولى، وقال أبو عمرو الداني أنه لا خلاف فيه[8].

---

[7] المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، (ص 308).

[8] فهد بن عبد الرحمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ط12، 2003م، (ص/ 372).

4_ ترتيب السور والآيات (وقفية أم اجتهادية)

أ _ ترتيب الآيات: ترتيب الآيات في السورة الواحدة كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبإشارة منه، وبهذا فإن ترتيب الآيات توقيفي كما جاءت بذلك الأحاديث، وقد ذكر السيوطي الإجماع على ذلك فلا تحل مخالفته، ونقل مناع القطان الإجماع عن كثير من العلماء، استدلوا بحديث جبريل أنه كان ينزل الآيات على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول كتبة الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا أو كذا"، أو "ضعوا آية كذا في موضع كذا"، كما بلَّغها أصحابه كذلك، وعن عثمان بن أبي العاص قال: "كنت جالسًا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ شَخَصَ ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى" [سورة النحل: 90]، وثبتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسور عديدة بترتيب آياتها في الصلاة، أو في خطبة الجمعة، كسورة البقرة وآل عمران والنساء، وصح أنه قرأ "الأعراف" في المغرب، وأنه كان يقرأ في صبح بالجمعة، كل ذلك بترتيب الآيات، وكان جبريل يعارض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن كل عام مرة في رمضان، وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين، وكان ذلك العرض على الترتيب المعروف الآن، وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا اليوم توقيفيًّا، لا شك في ذلك أبدا[9].

ب _ ترتيب سور القرآن: أما ترتيب السور في المصحف فأمر مختلف فيه، فبعضهم يقول أنه توقيفي وبعضهم يقول أنه اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، ذهب إلى الرأي الأول أبو بكر الأنباري وأبو جعفر النحاس والسيوطي والزركشي ... واستدلوا على مذهبهم بالعلاقة الدقيقة بين أواخر السورة وأوائل السورة الموالية لها، وسموه بعلم المناسبات، وهو مما لا يقدر على وضعه البشر، واستدلوا أيضا بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعا[10].

والثاني قول الجمهور منهم الإمام مالك والباقلاني[11]، ومما استدلوا به على ذلك أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان، فلو كان هذا الترتيب توقيفيا منقولا

---

[9] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مرجع سابق، (ص/ 140).
[10] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص (1/ 354).
[11] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص/ 142).

عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجازوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات، فهذا مصحف أبي بن كعب روي أنه كان مبدوءا بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام، وهذا مصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران الخ، وهذا مصحف علي كان مرتبا على النزول فأوله اقرأ ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا[12].

[12] مناهل العرفان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص (1/ 353).